

الاتجاه الملتزم للفكر الفلسطيني في معركة التحرير

بقدم خيريه حماد

التحرر ، على الصعيد العربي والعالمي . ولم تعد قضية فلسطين ، تمثل كما أراد لها الاستعمار أن تمثل ، نزاعا عنصريا ودينيا بين العرب واليهود ، وانما تمثل كما هي في الحقيقة والواقع ، والضرورة ، صراعا بين شعب ينشد التحرر ، ويطالب بحقه في تقرير مصيره ، وبين قوى تأمرت عليه ، وعلى وطنه وحرته ، وهي قوى الاستعمار ، والصهيونية ، والأمبريالية العالمية ، والرجعية العربية نفسها .

وبات لزاما على الفكر الفلسطيني الملتزم بالثورية ، وبهدف التحرير ، أن يحسر النقاب عن زيف المنطلقات الفكرية للانظمة التقليدية الرجعية العربية في مواجهة العدو ، وأن يرسم الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين ، بعيدا عن التصوير الجانبي المؤقت ، وانطلاقا من الاسباب العميقة الكامنة في أساس الوجود العربي الراهن وعمله السياسية الحضارية .

ومن هنا يكون فرض التزام منطق الفكر العلمي الثوري ، وتكون ضرورة تعميق هذا الفكر الثوري ، واسهامه في رسم استراتيجيات العمل العربي الثوري لتحرير فلسطين . ويتطلب هذا أول ما يتطلب ، الاستناد الى منطلقات الفكر القومي العربي التقدمي ، والالتحام مع الفكر الثوري العربي ، في نضال موحد من أجل تحقيق اهداف الامة العربية الواحدة في الحرية والاشتراكية والوحدة واسترداد الوطن السليب .

وفي مقدمة هذه المفاهيم الثورية والاساسية لقضية فلسطين ، ان فلسطين ضاعت على أرض فلسطين نفسها ، لا في الامم المتحدة ، أو عصبة الامم السابقة ، أو غيرهما من المحافل الدولية . ولذا فان استعادتها لا تكون في الامم المتحدة ، أو في المجالات الدولية وانما على أرض فلسطين نفسها . فقد شهدت هذه الارض معارك الضياع الزائفة ويجب أن تشهد معارك الاستعادة الحقيقية . ولكن علينا أن لا تصرفنا هذه الحقيقة الواقعة ، عن الاهتمام بما يدور في المجالات الدولية من مناقشات حول القضية ، ولا بما يمكن أن يتخذ في هذه المجالات من قرارات تتعلق بأصل القضية أو قرونها . فالعمل على الصعيد السياسي وفي المجالات الدولية ، يعتبر بالضرورة والحتمية ، جزءا متما لا يجب أن يقنع على أرض فلسطين نفسها من عمل تحرري .

هناك ظاهرة واحدة وبارزة تميز الادب الفلسطيني العربي ، في هذه الايام ، وهي الانصراف عن الندب والبكاء والعيول على الديار والاطلال . والاتجاه الى شحذ الهمم وعقد النوايا والعزائم ، على خوضها معركة لاهبة ، لاستخلاص لوطن السليب من أيدي غاصبيه ، واستعادة الحقوق الضائعة من سارقها من ممثلي الصهيونية والاستعمار ، بعد أن فشلت جميع الوسائل السلمية ، في تحريك ما يسمونه بالضمير الدولي .

ولقد تجلت هذه الظاهرة في أوضح صورها ، في المؤتمر العام الذي عقده كتاب فلسطين ، في قطاع غزة ، ذلك الجزء الباقي من وطننا السليب في فلسطين ، بين ٢٩ نوفمبر و ٤ ديسمبر من عام ١٩٦٦ ، وما رافق هذا المؤتمر من مهرجانات أدبية وشعرية ، وفكرية ، وندوات ثقافية .

ولقد حدد المؤتمر في قراراته ، وفي النداء الذي وجهه الى كتاب العالم ، وفي النظام الاساسي الذي وضعه لاتحاد كتاب فلسطين الذي انبثق عن المؤتمر ، طريق الفكر الفلسطيني واتجاهاته ، ووجوب التزام الكتاب ، بمعركة التحرير وأهدافها ، وبمنظمة تحرير فلسطين التي تجسد تطلعات الشعب الفلسطيني ، وتقود نضالاته من أجل استعادة وطنه .

واتضح من مناقشات المؤتمر وقراراته ، ومما القى فيه من دراسات ومن شعر ونثر ، ان الفكر الفلسطيني باق ، والى أن تنتهي معركة التحرير ، ويعود الوطن الى أهله وذويه ، ملتزما كل الالتزام ، بالمفاهيم الاساسية لقضية فلسطين ، وهي المفاهيم التي لخصها ميثاق منظمة التحرير ، وأكدت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته الاخيرة ، وقرارات مؤتمر الكتاب نفسه .

المفاهيم الاساسية :

وقد يطول بنا الحديث لو رحنا نشرح هذه المفاهيم الاساسية كلها ، ولكنها تتلخص في ان النظرة العامة للقضية ، باتت ذات مضمون تقدمي واضح كل الوضوح ، وان تحرير الجزء المحتل من فلسطين ، الذي اقام الاستعمار عليه اسرائيل ، يؤلف جزءا لا يتجزأ من حركة

ومقوماتها . فالوحدة هي طريق العودة ، كما ان العودة هي طريق الوحدة . ومن هنا يبرز التزام الكاتب الفلسطيني بوجود الربط ، ربطا وثيقا ومحكما ، بين مستقبل تحرير وطنه ، ومستقبل الثورة العربية ، وبأن تحرير فلسطين ، جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية ، واقعا ومصيرا .

تحديد موقف :

ومن هنا يتحتم على الكاتب الفلسطيني أن يحدد موقفه من المتناقضات القائمة في الوطن العربي ، بين الثورة العربية ، وكل ما تعنيه الثورة ، من حرية للوطن والانسان العربيين . وبين الرجعية العربية ، وما تعنيه من عبودية للوطن ، وتخلف للانسان العربي . ولا بد للكاتب ، وهو يحدد موقفه هذا ، من أن يكون مع الثورة العربية ، عاطفة ، واحساسا ، ونضالا ، وصمودا ، اذ ان انتصار الثورة العربية ، لا يعني القضاء على الرجعية العربية وتصفية الاستعمار في الوطن العربي بمختلف صورته وأشكاله فحسب ، وانما يعني ايضا ، وبصورة حتمية ، لقضية الاحتلال الصهيوني في فلسطين ولقضية جميع المصالح الاستعمارية والاستغلالية الامبريالية المرتبطة بوجود هذا الاحتلال . وعلى الكاتب الفلسطيني أن يلتزم بمفهوم اخر ، حد اساسي ، وهو ان الاستعمار عدونا الاول والرئيسي

وإذا كانت فلسطين قد ضاعت مؤقتا ، فلا يمكن أن تضيع أبدا ، طالما ان هناك شعبا عربيا واعيا يؤمن بأهدافه القومية في الحرية والاشتراكية والوحدة ، رافعا شعاراتها ، وعاقدا العزم على تحويل هذه الشعارات الى واقع ، وطالما ان هذا الشعب يتجاوب مع قيادته الثورية العربية الواحدة ، المؤمنة بأهداف أمته العربية ، والواعية لهذه الأهداف . فلا حرية للعرب في أي جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير طالما ان هناك اسرائيل بأهدافها العدوانية قائمة في قلب هذا الوطن ، تهدد أرجاءه المختلفة بخطر التمرد والتوسع . وطالما ان اسرائيل هذه تمثل القاعدة التي أقامها الاستعمار العالمي في قلب الوطن العربي ، ليعتمد عليها في حماية مصالحه الامبريالية ، وبينها مصالحه البترولية حتما ، وفي تنفيذ مخططاته وأهدافه العدوانية ، وفي حماية عملائه وأجرائه في قلب الوطن العربي ، من ممثلي الرجعية العربية . ولا وحدة للوطن العربي ، طالما ان اسرائيل تمثل الاسفين الذي دقه الاستعمار في قلب الوطن العربي ، ليحول دون وجود الارتباط الجغرافي المباشر ، الذي يعتبر عاملا ضخما من عوامل الوحدة ومقوماتها . ولا يمكن للسير في بناء الاشتراكية في الوطن العربي أن نغير سيره بقوة وسرعة ، طالما ان وجود اسرائيل وخطرها العدواني ، يفرض على العرب تكريس الكثير من مواردهم للأغراض الدفاعية ، وهي موارد يحتاج اليها الوطن العربي أشد الحاجة في مراحل تحويله الاشتراكي وبناء مجتمع الكفاية والعدل .

ولما كان أبناء فلسطين ، وبناتها ، هم بحكم الواقع والضرورة ، طليعة القوى في معركة تحرير وطنهم ، وبالتالي طليعة الفداء في خضم هذه المعركة ، وان كانوا لا يمثلون جميع القوى فيها ، اذ يجب أن تشترك فيها جميع القوى المؤمنة بوحدة النضال العربي في سبيل تحقيق أهداف الأمة العربية ، ولما كان الكفاح المسلح ، الذي يؤمن به شعب فلسطين ، كما تؤمن به الثورة العربية ، هو السبيل الذي لا سبيل سواه ، لتحرير الارض العربية ، وتصفية الاحتلال الصهيوني ، فان هذا يتطلب من الكاتب الفلسطيني أن يلتزم بتعميق الوعي الجماهيري بهذه الحقائق ، وبالعامل على تحقيق متطلبات كثيرة وأساسية . وفي مقدمة هذه المتطلبات ، تحرير ارادة المواطن الفلسطيني ، وتمكينه من أعداد نفسه ، بالتنظيم ، والتدريب والتسلح ، لتحمل مسؤولياته ، وواجباته النضالية التحررية ، وتوفير القوة العربية القادرة على حماية الخطوط الامامية كلها ، لمنع اسرائيل ، الى ان تحين ساعة التحرير ، من ممارسة أي عدوان ، أو القيام بأية غارة انتقامية ، وذلك عن طريق تنفيذ مطالب الشعب الفلسطيني التي تجسدها منظمة التحرير الفلسطينية . وهناك مفهوم أساسي ثان وهو أن معركة فلسطين ، جزء لا يتجزأ من معركة الأمة العربية ، ويجب ان تكون معطياتها ، هي (عين) معطيات معركة الوحدة العربية

شعر

من منشورات دار الاداب

ق . ل		
٢٥٠	للشاعر القروي	الاعاصير
٢٠٠	لفدوى طوقان	وجدتها
٢٠٠	»	وحدني مع الايام
٢٥٠	»	اعطنا حبا
٣٠٠	لعبد الباسط الصوفي	ايات ريفية
٢٠٠	لفواز عيد	في شمسي دوار
٢٠٠	لهلال ناجي	الفجر آت يا عراق
٢٠٠	لعنان الراوي	المشائق والسلام
٢٠٠	لخالد الشواف	حدا و غناء
٢٠٠	لحمد الفيتوري	عاشق من افريقيا
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	احلام الفارس القديم
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	اقول لكم
٢٠٠	لمعين بسيسو	فلسطين في القلب
٢٠٠	لحسن النجمي	كلمات فلسطينية
		بيادر الجوع
٣٠٠	للكنور خليل حاوي	سفر الفقر والثورة
٢٥٠	لعبد الوهاب البياتي	الناس في بلادي (ط . جديدة)
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	

في مشكلة فلسطين بالذات . فالاستعمار هو الذي خلق اسرائيل ، واقامها في ارضنا الطيبة ، لتكون قاعدته في هذا الجزء من العالم ، وأداته وعدوانه ، ويستخدمها في مؤامراته ومناوراته .

والاستعمار القديم ، ممثلا في زعيمته السابقة بريطانيا ، هو الذي أصدر وعد بلفور ، فمنح من لا يملك ، لمن لا يستحق ، وطننا له صحبه وأهله وشعبه ، ثم تعاون من لا يملك ومن لا يستحق ، على حرمان صاحب الحق مما يملكه ويستحقه .

والاستعمار القديم هذا ، هو الذي فرض انتدابه البغيض والجائر على فلسطين تحديا لمشيئة أهلها ، اكثر من ثلاثين عاما ، لم يدع ابانها حيلة ، أو وسيلة ، أو قانونا ، أو سياسة الا واتبعها ، لتهويد فلسطين ، وتنفيذ مخططه في اقامة اسرائيل على ارضها . فهو الذي فتح ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعها ، فارتفع عدد المستعمرين الصهيونيين من ٥٥ ألفا في عام ١٩١٨ ، أي عندما بدأ عهد الانتداب البريطاني ، الى ٦٥٠ ألفا في عام ١٩٤٨ ، أي عندما انتهى هذا العهد البغيض من البلاد . وهو الذي اتبع سياسات اقتصادية جائرة مع العرب ، انطوت على منح الامتيازات للمؤسسات الصهيونية ، وعلى ارغام العرب عن طريق الضرائب التي تهدف الى افقارهم ، على بيع اراضيهم لليهود ، ومع ذلك فقد ضمّد شعب فلسطين لكل هذا العنف والجور ، واحتفظ بأرضه . ولم يكن الصهيونيون يملكون في فلسطين عندما قامت اسرائيل في عام ١٩٤٨ سوى ٦٤٢٥ في المائة من مجموع اراضيها طبقا لاحصاءات الحكومة البريطانية نفسها . وكانت معظم هذه الاراضي التي حصل عليها الصهيونيون ملكا للعائلات الاقطاعية من خارج فلسطين ، التي لا تشدها الى الارض اية روابط ، ولا تشدها الى شعب الارض اية أحاسيس ، وانما تتأثر بمصالحها الطبقية الاقطاعية التي لا تعرف ولاء لوطن أو شعب .

والاستعمار الجديد ممثلا في زعيمته الولايات المتحدة الاميركية هو الذي فرض على الامم المتحدة التي كانت تخضع في عام ١٩٤٧ للنفوذ الاميركي المسيطر عليها مشروع التقسيم الذي يتعارض مع المبدأ الاساسي لحق كل شعب في تقرير مصيره . وهو ، أي الاستعمار الاميركي ، الذي أشرف على تنفيذ هذا التقسيم ، لتقيم اسرائيل على أرض فلسطين ، وليعزز كيانها ، بعد اقامتها ، بما يضيفه عليها من حماية سافرة ، وفي رعاية وفي عون مادي ضخم ، وفي دعم يتمثل في أنواع الصواريخ الموجهة وغير الموجهة ومليارات الدولارات والمراكات الالمانية الغربية ، كما يتمثل في تعزيز قدرات اسرائيل وطاقتها ، على انتاج السلاح النووي ، الذي يضاعف في خطرها على الوطن العربي ، بل وعلى العالم الافريقي - الاسيوي ، والسلام العالمي كله .

وهدف الاستعمار الجديد من اقامة اسرائيل الى تأمين القاعدة الاستعمارية التي يستطيع ان يستتر وراءها ، للتسلل الى اقتصادات الدول الحديثة النامية في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية عن طريق المعونات الاقتصادية والمالية والفنية التي تقدمها الاحتكارات الامبريالية الغربية الى اسرائيل ، لتتولى اصالها ، كسمسار ، الى هذه الدول النامية ، فيضمن الاستعمار الجديد بذلك سيطرته المستغلة على اقتصادات هذه الدول ، وابقاء مواردها وأسواقها تحت رحمته واستغلاله .

وهدف الاستعمار الجديد أيضا في اقامة اسرائيل ، واشغال العرب بها ، وبوجودها العدواني ، وصرفهم عن الجهود البناءة التي تستهدف رخاءهم ، وتحسين أحوال العيش في بلادهم ، ومنع المسيرة الاشتراكية من المضي قدما في طريقها لخلق مجتمع الكفاية والعدل ، كما أراد منها أن تكون وسيلته في دعم أعوانه من ممثلي الرجعية العربية ، للحيلولة دون مضي الركب العربي ، في طريقه السريع نحو التحرر الكامل والتقدم الحضاري والوحدة الشاملة .

وضوح المقومات :

ويتضح من هذا ان معركة فلسطين ، باتت واضحة كل الوضوح في مقوماتها ومعطياتها ومفاهيمها واتجاهاتها . فلا دور للعلاء الذين يرتبط وجودهم بالاستعمار في هذه المعركة ولا مكان في صفوفها للرجعية التي ترتبط مصالحها ارتباطا عضويا ومصيريا بمصالح الاستعمار ولا عمل فيها للانتهازية التي تدفعها أنانيتها الى الانحراف والخيانة .

وكان على الفكر الفلسطيني من هذا المنطلق ، الا يلتزم بمحاولات الرجعية العربية المرتبطة بمخططات الاستعمار والصهيونية ، لبعث منطلق الاحلاف الاستعمارية تحت ستار الدين ، أي اقامة الحلف الاسلامي المزعوم ، وأن يندد بالجهود التي تبذلها الرجعية العربية لتزوير القيم الحقيقية للدين ، في محاولة يائسة منها لمواجهة المد الثوري العربي ، وانطلاق الجماهير العربية نحو تحقيق اهدافها .

وكان على الفكر الفلسطيني أيضا أن يلتزم بازالة اسرائيل كيانا وواقعا ووجودا ، على اعتبار ان هذه الازالة هي الهدف الوحيد لمعركة التحرير ، ومنها لقضاء على القاعدة التي اقامها الاستعمار في الوطن العربي . ولذا فهو يرفض جميع المؤامرات والمناورات التي تستهدف المساس بحقوق شعب فلسطين غير الجزاة ، ويشجب باصرار منطلق التسويات والحلول التوفيقية التي يدعو اليها امثال الحبيب أبي رقية ، رئيس تونس ، ومؤامرات

كما يؤيد الشعوب المكافحة من أجل السلام العالمي القائم على العدل .

ولا شك في ان الالتزام في الفكر ابان معركة التحرير ، شرط أساسي لكسب هذه المعركة ، لانه يشبه الانضباط لدى القوات العاملة في الميدان ، والذي بدونه يستحيل على هذه القوات ان تكسب وأن تفوز .

ولا يعني هذا الالتزام مطلقا واد للحرية الفكرية ، كما يزعم البعض . اذ ان الحرية المطلقة ، تعني القوضى ، وتعني التفسخ ، وتعني الهزيمة في المعركة المصيرية والوجودية التي يخوضها الشعب العربي ؛ في سبيل تحرير الجزء المغتصب من وطنه . وليس ادل على وجود الحرية ورسوخ اقدامها ، من تبني الكتاب أنفسهم وهم طلائع الحرية ، في كل زمان ومكان ، لمفاهيم المعركة التحررية ، والتزامهم بها ، والعمل في جد ومثابرة واصرار على تعميق الوعي الجماهيري .

لقد عاشت فلسطين ، عبر القرون والاجيال ، عربية وستظل عربية ، طالما ان ارادة الشعب العربي صادقة في وجوب تحريرها من اسرائيل القاعدة التي اقامها الاستعمار في الوطن . وعلى الكتاب ان يؤدي دورهم كاملا عن طريق الالتزام ، في الوصول بمعركة التحرير الى نهايتها الظافرة المنتصرة .
خيري حماد

الصلح والتوطين والاسكان ، على اعتبار ان التسوية لا يمكن أن تقوم بين اللص والضحية ، او بين المستعمر المستغل وبين ضحيته الذي فقد حقه . وهو يستنكر ايضا المناورات التي تهدف الى شل الطاقات الفلسطينية وحصدتها ، وتمييع المطالب الحقيقية للشعب العربي في فلسطين .

وكان على الفكر الفلسطيني ايضا أن يقوم بتعميق المفهوم القائل بأن القوى الثورية التقدمية هي التي تؤلف الطلائع في العمل التحرري ، لان هذه القوى تنفع في الجماهير ، وترتبط ارتباطا عضويا ومصيريا ، بالاهداف التحررية ، التي يمثل تحرير فلسطين مقدمتها .

معركة الحرية كل لا يتجزأ :

وهنا يبرز الارتباط الوثيق بين مستقبل القضية الفلسطينية ، وبين معركة الحرية ، لا في الوطن العربي فحسب ، حيث تستقر في عدة أجزاء من ربوعه ، وفي مقدمتها الجنوب اليمني المحتل ، بل وفي العالم كله ايضا . فالقضية الفلسطينية تجسد الصراع بين الامة العربية والتحالف الاستعماري - الصهيوني - الرجعي . ومن هنا ايضا يتجتم على الفكر الفلسطيني ان يؤيد جميع الشعوب المناضلة في العالم ، وفي مقدمتها شعب فييتنام البطل ، لتصفية الاستعمار والامبريالية وعملائها،

صدر حديثا :

الرواية الرائعة التي كتبها الروائي العربي الاول الاستاذ نجيب محفوظ

والتي طال انتظار القراء العرب لها
في كل مكان

أولاد حارتنا

- * اجراً واخطر ما كتب مؤلف الثلاثية الشهيرة
- * الرواية التي اثارَت ضجة كبيرة لدى نشرها في جريدة ((الاهرام)) منذ سنوات فلم يتح لها ان تصدر في كتاب . . .
- * تنشرها ((دار الاداب)) اليوم في اخراج انيق وطباعة فاخرة

الثمن ٧٥٠ ق . ل .

صدر حديثا :